

## الباب السادس

### قصص لها معنى

تقديم: بقلم سامى عباس خميس

- ١- قصص لها معنى
- ٢- العصا لا تعيد الهيبة لمن فقدتها
- ٣- تعليق مختصر حول تطوير مكة المشرفة
- ٤- ديون البنوك
- ٥- الشاطره تغزل
- ٦- دنيا الناس
- ٧- رحلة البشر
- ٨- الإعلام العربى والانتفاضه

obeikandi.com

## قصص لها معنى

«الائنين والدنيا» مجلة أسبوعية تصدر عن دار الهلال، توقف صدورها منذ فترة بعيدة، وكانت المجلة تضم بين دفتيها العديد من الموضوعات الشيقة والقصص الهادفة المرحية، وكنت شغوفاً وحريصاً على متابعتها والاطلاع على محتوياتها، فالقراءة لجيلنا تعتبر الثقافة والتسلية في ذلك الزمن الجميل، زمن الشباب الذى ولى ومضى وترك لنا نبض الذكرى والذكريات مرسوماً ومطبوعاً على صفحات الذاكرة، ولا أنسى قصتين كتبهما الأديب الراحل «وليم باسيلي» بـ «الائنين والدنيا»، وأذكر تفاصيلها حية نابضة وتتداعى معانيها وأحداثها كلما قابلت موقف مشابهاً، أو صادفتى ما يقاربها من الأحداث والمعانى.

### قطار الترقيات

**القصة الأولى:** بطلاها صديقان، وهى تصور لنا أسلوبهما فى الحياة وأفكارهما وقيمهما وتأثير كل واحد منهما على الآخر، فقد زار الصديق الأول صديقه الثانى «الموظف» فى مقر ومكان عمله.

والذى لفت انتباهه وأيقظ حواسه أن مكتب صديقه «الموظف» نظيف وخال من المعاملات والأوراق، فسأل صديقه القابع خلف مكتبه مستكراً ومتعجباً: «هل إدراكك ومديروك لا يعترفون بك كموظف متتج وعامل؟» فرد صديقه بعلامة الاستفهام: «لماذا؟»

«السبب يا صديقى أننى لا أرى أى أوراق أو معاملات رسمية مرسلة إليك للبت فيها وإنجازها»، فرد صديقه عليه بفخر وتعالى: «لقد وصلت المعاملات وأجزتها وأرسلتها إلى الجهات المعنية.. هذا هو أسلوبى وطريقتى فى العمل.. لا أحب تأخير المعاملات أو إهمالها أو إلقاءها فوق مكنتى».. فرد عليه صديقه منزعجاً واثراً: «إذا، ستظل فى مكانك مجمداً - محلك سر- وسيفوتك قطار الترقيات والصعود إلى أعلى، فرد الصديق «الموظف» متسائلاً: «إذا ما العمل؟ وبماذا تنصح وتشير على؟ فأجابته: «المفروض يا صديقى أنك إذا تسلمت المعاملات اليومية والأوراق الرسمية

المطلوب إنجازها، أن تنجز منها معاملة أو معاملتين على الأكثر، وتترك باقى المعاملات الأخرى جائزة على مكتبك، فرد الصديق «الموظف»: «ولماذا أبقيتها إذا كنت قادراً على إنجازها والانتهاء منها؟» فرد صديقه عليه غاضباً: «أنت لا تفهم اللعبة؟ أبقيتها على مكتبك لأجل أن تترقى وتصعد إلى أعلى السلم الوظيفى»..

وأردف قائلاً: «نفذ ما أطلبه منك ودع المعاملات تتراكم وتتكاثر وتجمم فوق مكتبك، واجعل المتضررين يرفعوا شكواهم لمديرك، وسيأتى إليك المفتشون والمراقبون تبعاً فتشكو أنت من كثرة المعاملات ومن ضغوط العمل وكثرة المراجعين وتراكم المعاملات، وتطالبهم بضرورة تزويدكم بعدد من الموظفين لمساعدتك فى إنجاز وإتمام المعاملات المتراكمة. من تلك الساعة سيتحول مكتبك الصغير المتواضع إلى «شعبة»، وبعد ذلك إلى «قسم»، «إدارة»، والإدارة تكبر وتصبح إدارة عامة، وأنت تصبح مديراً عاماً..!، فقال الصديق الموظف معقّباً: «أحلام أحلام.. وتمنيات خيالية وخطة غير واقعية، ورغم ذلك سأنفذ التعليمات والسيناريو والخطة وسرى ماذا يحدث..؟ وبعد بضع سنوات من حوار الصديقين: زار الأول صديقه «الموظف» فى مكتبه الفخم مكتب المدير العام مباركاً ومهنئاً.

ولا أعرف إذا كان هذا السيناريو حدث فعلاً أم هو فى خيال الكاتب.. وهل يتكرر ما حدث ونعيش نفس الأحداث ويتطابق السيناريو مع الواقع المعاصر؟ أسئلة كثيرة وتساؤلات أكثر فأين الحقيقة؟!..

«لابسين مزينة!»

**القصة الثانية:** يتمحور مضمونها حول متاعب إنسان عادى بسيط يبحث عن معاملة له حولت لإحدى الإدارات الحكومية، وظل المسكين صاعداً ونازلاً باحثاً منقّباً عن معاملته ماذا تم فيها، وماذا كتب عليها، وإلى ماذا انتهت إليه.. أسئلة حائرة وتساؤلات كثيرة جالت بخاطره وقد سألها لمجموعة الموظفين والعاملين الذين راجعهم ومر بهم ولا أحد يعرف ولا أحد يجيب. كأن المعاملة أمراً محيراً، والكل لا يعرف عنها شيئاً قليلاً أو كثيراً، حتى ملأ السأس قلبه وهدأ التعب كيانه، وفى نهاية المطاف التقى بموظف فى تلك الإدارة يبدو عليه ومن خلال حديثه وردوده إطلاعه

الواسع على خبايا الإدارة والمعاملات الواردة إليها والخارجة منها، فقد أفاده وأجابه على كل تساؤلاته وما تم في معاملته، وشرح له جميع التأثيرات والشروحات، وأبان له ما أتخذ حيالها من قرارات إيجابية، الأمر الذى أثلج صدره وأعاد الاطمئنان إلى نفسه. وعند عودته من رحلته لتلك الإدارة سرد معاناته وحكى قصته لصديق مقرب إليه، وطلب منه تفسيراً لما لقيه من معاناة وتعب، وعدم المبالاة التى وجدها عند أغلبية موظفى تلك الإدارة.. ولكن صديقه أرجأ الرد إلى ما بعد حضورهم لسماع حفلة موسيقية وأثناء السماع والمشاهدة لاحظ الصديق المدعو أن عدد الموسيقيين والعازفين على خشبة المسرح ضخم جدا، ولكن المدهش والعجيب والمستغرب أن الصوت المنبعث من منطقة واحدة منطقة الوسط، هكذا علق الصديق المدعو، فرد الداعى على تلك الملاحظة بأن هذا هو ما أردت توضيحه لك وإطلاعك عليه، بصورة أخرى، بالحضور والمشاهدة والسماع.

فالعازفون الحقيقيون هم الذين يتمركزون فى وسط المسرح، أما باقى أفراد الفرقة فلا يُعرف عنهم شىء ويطلق عليهم «لابسين مزبكة»، ومعنى ذلك أنهم لا يعزفون، بل يحركون أيديهم وآلاتهم الموسيقية بصورة آلية وأداء تمثيلى، والمتعهد للحفل جمعهم وألبسهم ملابس العازفين لزيادة أعداد أفراد الفرقة الموسيقية.. وكلما زاد العدد زاد وارتفع الدخل والإيراد. فعنق الصديق المدعو مازحاً، إذا أنت تربط بين ما شاهدناه على المسرح وبين ما نشاهده فى الواقع الحياتى، بمعنى أن كثيراً من الجماهير البشرية على مسرح الحياة صورتهم تماثل ما نشاهده الآن على المسرح الموسيقى.

الأغلبية «لابسين مزبكة» وقليل هم العازفون الحقيقيون.. وقد رد الصديق عليه: «أرجوك افهمنى.. ما قصدته كانت هى قصة «وليم باسيلي».. إننا نشاهد ونعيش مسرحية «البطالة المقنعة»، وهذه هى الحياة.. مسرح كبير ولكل منا دوره..وعلينا الانتظار إلى أن يقفل الستار وتظهر كلمة النهاية».

## العصا لا تعيد الهيبة لمن فقدتها

الصديق رجاء أحمد جمال أشهر سيفه على مسؤولى التعليم فى بلادنا وحملهم مسؤولية وزر زيادة أعداد المعتدين من الطلاب على مدرسيهم والتي وصل عددها إلى ٩٧ حالة اعتداء خلال هذا العام، وطالب الصديق رجاء فى ختام مقاله بضرورة عودة الهيبة للمدارس وبعودة العصا، والتي يعتقد جازماً أنها هى التي ستعيد الهيبة المفقودة.

أقول للصديق رجاء جمال ما هكذا تورد الإبل، وعودة العصا لا يمكن أن تعيد الهيبة للمدارس التي فقدت هيبتها. والأصل فى الموضوع أن نبحث أموراً عديدة وتنقضى حقائق ربما غابت عنه، لا بد أن نبحت أولاً عن أصل المشكلة وجذورها ومسبباتها. ولماذا وصلنا إلى هذا الوضع، ولا بد لنا أن نحدد حالات الاعتداء متى حدثت وكيف حدثت وأين حدثت فى أى المدارس وفى أى المدن وفى أى منطقة ومعرفة مسببات وخلفية الاعتداء وتفصيله بصورة فردية، ولا بد من تشخيص كل حالة على حدة ومن ثم دراسة التشخيص لكل حالة بمفردها لتعرف على ظروف ومسببات كل حالة ثم نقوم بتجميع الحالات المتقاربة والمتشابهة وأسبابها وظروفها وملابساتها وأماكن حدوثها من خلال التحليل الشامل والتفصيلى والتشخيص الموضوعى لكل الحالات فبذلك نكون قد وضعنا أيدينا على جوهر المشكلة وبالتالي يمكن للمتخصصين ولأهل العلم والفهم أن يضعوا الحلول الجذرية المناسبة لكل حالة فبذلك يمكن لنا تفادى حدوث مثيلاتها وعدم تكرارها مستقبلاً، وهذا هو الأسلوب الحضارى العلمى أما التعميم وإصدار الأحكام الجزافية الفردية واعتبار حكمنا هو الاصح والأفضل والناجح ونقرر على ضوءه ما يجب أن يحدث أو يتم أو يتخذ هذا الرأى الفردى يمثل خطراً لأنفسنا ولذواتنا، ويجعل كل حامل قلم يقرر ويصدر أحكامه المطلقة ويشهر سيفه علينا. المشكلة التى أطرحتها للنقاش والحوار الجاد تنحصر فى ثلاثة أبعاد وعناصر مهمة:

أولاً: الأسرة والبيت فعليهم يقع العبء والدور البارز والمهم فى القيام بواجباتهم

الأسرية نحو تربية وتهذيب الأبناء والبنات وردعهم وتقويم اعوجاجهم أو انحرافهم والأسرة هي اللبنة الأولى والأساس العظيم في المجتمع وعليها تقع المسؤولية الأولى والأخيرة في تقويم مسار أفراد الأسرة ولكن الملاحظ أن الأب تخلى عن دوره القيادي وظل يلهث خلف المال وتحصيله والأم مع الأسف تركت مسؤولية التربية والقُدوة الصالحة للخادمة والمربية وصبت اهتمامها على الموضة وأسبابها والأبناء والبنات وجدوا الساحة خالية فلا مرشد أو موجه أو معين فاعتمدوا على افكارهم وآراء الخلان وأصدقاء وصديقات السوء نتيجة تخلي الأب والأم عن دورهم ومسؤولياتهم تجاه فلذات الأكباد (فضاعت الطاسة).

**ثانياً:** المدرسة وكانت في السابق تساعد وتقوم بدورها التربوي والتوجيهي ونظراً لتزايد أعداد الطلاب والطالبات في الفصل الدراسي والذي يفوق الأربعين طالباً أو طالبة فالمدرس والمدرسة مع الإعداد الهائلة لا يمكن أن يوفق بين التدريس والتوجيه، صحيح أننا في حاضرنا المعاصر نفتقد المدير الفذ أو الشخصية القوية والربان المهيمن والمسيطر بفهم وحب واقتدار لعمله وواجبه تجاه أبنائه وإخوانه الطلاب.

**ثالثاً:** المجتمع بكل فئاته وطبقاته وأفراده تخلى عن دوره التوجيهي والإرشادي فقد كان الأب أي أب يعتبر أبنائه وأبناء الآخرين في الحى والجيرة هم بمثابة أبنائه وأخوانه وكان الكل يبادر بأداء دوره التوجيهي والإرشادي ولا أحد يعترض أو يعارض وفي الوقت الحاضر الصورة تغيرت والأوضاع انقلبت. فى الزمن الجميل الماضى والكل عاصر مديرين أجلاء يشار إليهم بالبنان لقوة شخصياتهم ولعلمهم الجم ولقدراتهم الإدارية والأخلاقية والسلوكية والتربوية ففرضوا احترامهم وهيبتهم على الجميع صغيراً وكبيراً طالباً ومدرساً ولا زلت أذكر منهم المربي الجليل السيد إسحاق عزوز رحمه الله مدير مدارس الفلاح بمكة وقد حضرته فى بداية حياتى المدرسية بمدرسة الفلاح وكانت المدرسة تضم الأقسام الدراسية الثلاثة الابتدائى والمتوسط والثانوى، وكان إذا مر مروراً خفت الأصوات وتلاشت ووقف الجميع تقديراً واحتراماً.. الشخصية الثانية المربي القدير الأستاذ محمد فدا.. مدير عام مدارس الشفر رحمه الله وقد حضرته آخر مرحلة دراسية لى وكان يفرض هيئته واحترامه وشخصيته على الجميع مدرسين وطلاباً ولم يكن يحمل عصا بل كان

يحمل بين جنبيه أبوة صادقة وشخصية قوية فذة وقدرات تربوية خلاقة يجملها  
بالوعي والفهم لدوره ومسؤوليته.

هذه هي الصورة التي أعرفها وأجسدها بكل أبعادها وجوانبها وعلى علماء  
التربية وعلم النفس والاجتماع ورجال التعليم أن يدرسوا المشكلة ويشخصوا العلة  
والمرض ويضعوا الحلول الناجمة، أما العصا فلا يمكن لها أن تعيد الهيئة لمن فقد الهيئة  
والاحترام والقدوة. والله من وراء القصد..

## تعليق مختصر حول تطوير مكة المنترفة

تعليقاً على المقالات الأربعة المتابعة التي سطرها الأستاذ محمد صلاح الدين فى زاويته «الملك يدور» وحول تطوير مكة المشرفة شرفها الله وحفظ أهلها من كل سوء فالتطوير فى نظرى يعبر ويسلك مسارات متعددة أهمها المسار التخطيطى وهو ما يعرف ويطلق عليه «علم تخطيط المدن» وهو علم ودراسة منهجية قائمة بذاتها وتدرس فى كليات الهندسة ولا يفنى فيها إلا أصحاب العلم المهنى والدراسة المنهجية مع ضرورة الأخذ فى الاعتبار كل الأفكار والإراء المطروحة للنقاش على صفحات الجرائد لاستخلاص الجيد والصالح منها.

وعلى ضوء تلك القناعة استعرض اهم النقاط فى هذا المسار وغيره من المسارات:

١- أن يتم تطوير مكة المشرفة لتصبح بحق أم المدن والمدائن بما شرفها الله وعظم مكانتها واختارها مكاناً معظماً ومكرماً «لبيته العظيم» ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص].

٢- المحافظة على الأماكن المباركة والمعالم التاريخية العظيمة بمكة المشرفة والتي كان يردتها الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلم وإحاطتها بالعناية والابراز والتكريم ولتكون معالم بارزة ومزارات عظيمة لمهد الرسالة الإسلامية دون الخوف والهلع من تصرفات الجهلة والعامه.

٣- أن يحافظ التطوير العمراني على الشكل والطرز الإسلامى المتميز والذي افتقدناه من المرحلة الأولى وفيما سبق تحقيقه فلم نحصل ونشاهد إلا ابراجاً اسمنتية زجاجية شاهقة يمكن لنا أن نراها وتقابلنا فى أى مدينة من مدن العالم.

٤- من زار مدينة طليطلة الأسبانية وبعض مدن الاندلس يلاحظ محافظة تلك المدن على الشخصية الإسلامية التى بناها الاجداد العظام وقد حرصت الإدارة الأسبانية المشرفة على تلك المدن اعتزازا بالحضارة الإسلامية الابقاء على الشكل والاطار الإسلامى.

فبعندما مشبت ونحركت فى شوارع طليطلة شعرت وعشت لحظات ذكرتنى بشوارع وأزقة المدينة المنورة القديمة ببيوتها ونوافذها المغطاة بستائر تسمى الكبريتة وأبوابها الخشبية التى تغلق بالضبة والمفتاح هذا ما تمناه ونرنو إليه ونطلع نحوه وهو الابقاء والمحافظة على التراث والصورة القديمة ولكن بشكلها المتطور والحديث.

٥- ويمكن أن ندخل ضمن الخطة التطويرية لمكة المكرمة نظام مترو الأنفاق وهو أسلوب تقنى متطور ينقل المصلين والمعتمرين والحجاج من ساحات الوصول ومن أماكن السكن البعيدة إلى الحرم الشريف فى دقائق وبالتالي الاستغناء عن خدمة السيارات أو التقليل منها التى تكاثرت بصورة ملحوظة وأدت إلى زيادة الارتباك والفوضى والأزدحام الشديد. ومترو الأنفاق أسلوب حضارى يختصر الوقت ويساعد على التقليل من هدم الدور والمباني لتوسيع الشوارع لاستخدامات السيارات.

٦- وإذا افترضنا جدلاً أن الخطة التطويرية لمكة المشرفة أخذت فى الاعتبار أسلوب استخدام مترو الأنفاق فلا بد أن تضيف إليه خدمة جديدة واستخداماً آخر وهو نقل الحجاج إلى منى ومزدلفة وعرفة لأداء الشعائر فنكون بذلك قد أسهمنا فى جعل أداء فريضة الحج يتم بسهولة ويسر ودون كثير من معوقات السير التى قد تسببها السيارات وتزاحمها وكذلك نساعد على تخفيف حركة السير على كافة الطرقات.

٧- كما يمكن ربط الأسواق التجارية فى الخطة التطويرية بمسارات ومداخل ومخارج الطرق الموصلة للحرم الشريف بعد اغلاق الشوارع والطرقات أمام السيارات والحافلات وتخصيصها وجعلها للمشاة من أهل مكة والحجاج والمعتمرين فنروج لحركة الاقتصاد والتجارة وندفعها للرقى والتقدم والانتعاش.

٨- أصدر أمير منطقة مكة المكرمة خلال الأيام الماضية قراراً بتشكيل لجنة تهتم بتطوير النواحي الصحية وخدماتها لسكان مكة ومن حولها وهذا قرار حكيم وسنرى نتائجه بعد انتهاء اللجنة المكونة لهذا الغرض من اجتماعاتها ووضع

مقترحاتها وأفكارها موضوع التنفيذ لجميع الجوانب الصحية وخدماتها وبهذا نكون وضعنا مكة وأهلها وزوارها على الطريق الصحيح في مجال الخدمات والرعاية الصحية.

٩- ونحن نتظر من الأمير الجليل أمير منطقة مكة أن يصدر قراراً مماثلاً بإنشاء لجنة أو هيئة لتطوير وتأهيل وتوطين العلم والعلماء بمكة المشرفة والحرم الشريف، يسهم فيها أبناء مكة في المقام الأول في مهام التدريس بالحرم الشريف والإمامة وغيرها من أعمال الإشراف وخدمة الحرم وأهله وزواره الكرام.

١٠- النقطة الأخيرة أن تسعى الهيئة العليا لتطوير مكة إلى دعوة كل من يرغب من المكاتب الهندسية المؤهلة لتخطيط وتطوير المدن في العالم العربي والإسلامي للاشتراك والمساهمة في تطوير وتنظيم والرقى والازدهار بمكة المشرفة لتأخذ مكانها اللائق بها كأعظم وأفضل مدينة اختارها الله عز وجل لتكون مكاناً كريماً لبيته العظيم.

والله من وراء القصد..

## ديون البنوك للمجتمع واجبة السداد

كتب الاستاذ سمير عابد الشيخ في مجلة الاسواق تحليلاً جميلاً رانماً عن البنوك السعودية يتضمن معلومات قيمة واحصائيات دقيقة تفصيلية سأحاول تلخيصها في حدود الحيز المكاني.

أ- رؤؤس الأموال: بلغ إجمالي ميزانيات البنوك السعودية خلال السنة الماضية ما يتجاوز (٤٠٧) مليارات ريال، أى انها زادت عن ضعف ميزانية المملكة العربية السعودية لهذا العام.

ب- الأرباح الصافية: بلغت الأرباح الصافية الإجمالية خلال السنة المالية ٢٠٠٠م حوالى (٨,٨) مليارات ريال، كما وصل إجمالي أرباح عمليات البنوك السعودية لنفس الفترة (١٠,٢٨) مليار ريال أى بزيادة ما نسبته ١٩٪.

ج- ودائع العملاء: إجمالي الإيداعات لدى البنوك السعودية تجاوزت ما مقداره (٣٢٤) مليار ريال استحوذت البنوك العملاقة ما نسبته ٦٣٪ من إجمالي تلك الإيداعات، مع ملاحظة أن استفادة البنوك الكبيرة من ودائع العملاء غير المستغلة أكثر من استفادتها من العمليات الاستثمارية.

د- شرائح البنوك: صنفت البنوك السعودية إلى أربع شرائح:  
البنوك العملاقة: الأمريكى - الأهلئ - الراجحئ - الرياض.  
البنوك الكبيرة: البريطانى - الفرنسى.  
البنوك المتوسطة: الوطنئ - الهولندئ.  
البنوك الصغيرة: السعودئ للاستثمار - الجزيرة.

وتوضح المؤشرات السابقة وتؤكد تميز أداء وربحية البنوك السعودية عن مثيلاتها الأمريكية والسويسرية، وهذا الأمر يحسب لبنوكنا كما يحسب لمؤسسة النقد العربئ السعودئ التى دعمت وساندت البنوك السعودية، كما لا يمكن إغفال وتجاهل دعم المجتمع السعودئ القوئ والمؤثر وإيداعاته الضخمة والبالغ مجملها (٣٢٤) مليار

ريال، ومعظمها إيداعات بدون فوائد، فتقاضى الفوائد يتعارض مع مفاهيم المجتمع الدينية والإسلامية.

وعلى ضوء تلك الحقائق الهامة والأرقام المذهلة الفلكية يحق لنا أن نضع التساؤل الهام والجوهري ونقول، ماذا قدمت هذه البنوك للمجتمع مقابل ما حصلت عليه؟ وما هو الدور الإيجابي الذي قامت به حيال التنمية والتطوير؟ والجواب الواقعي لا شيء إطلاقاً. بحساب الأرقام والتي تفهمها البنوك نكتشف أنها لم تقدم شيئاً ذا قيمة. إذا فالمجتمع له عليها دين كبير وحقوق جمة وكثيرة، وذلك تجاه الدولة والمشاريع التنموية. نعود للغة الأرقام وبحسبة بسيطة نجد أن المودعين لو تقاضوا الفوائد والتي تتراوح نسبتها بين ٦٪ - ١٢٪، أى يصبح متوسط ما يجب دفعه للمودعين يصل لما بين (٢٠ - ٣٠) مليار ريال سنوياً ومجمل هذه المبالغ أضيفت إلي ميزانيات تلك البنوك.

ولكى تسدد البنوك ما عليها من دين عام تجاه المجتمع والدولة فيجب أن تبدأ منذ الآن بل ومن اللحظة بوضع خطة تنموية تساهم بها مجتمعة وبصورة فعالة وإيجابية فى دعم مشاريع الدولة وتنمية وتطوير البنية التحتية، كما يتوجب عليها دعم مشاريع تدريب وتأهيل الكوادر السعودية الشبابية بإنشاء مراكز تدريب عالية المستوى من الناحية العلمية والتدريبية والتقنية، فتساهم فى توطين وسعودة الوظائف فى القطاعين كمساهمة من البنوك تجاه الدولة والمجتمع وهو دين لا بد من سداه.

## التناطرة تغزل

فى الأيام الخوالى «الطائف» كان يعتبر المصيف الأول والمفضل والأقرب لأهل مكة، وكانت الأسر المكية تقضى أشهر الصيف فى قلب المدينة الخلافة الشهيرة بعطر وشذى وردھا الطائفى. والشهيرة بفواكهها رمان لیه، وبرشونى الشفاء. وعنب القيم، وبمناطقها المحيطة، مثل الشفاء، وادى محرم، الوهط والوهيط وغدير البنات، وغيرها من الأماكن والمتجعات الجميلة. والأسر المكية المسافرة للطائف كانت تتكبد كثيراً من وعناء السفر، فالانتقال من مكة للطائف يتم بواسطة السيارات الكبيرة، وكانت الأسر المكية تأخذ معها فى رحلتها الصيفية للمصيف كل احتياجاتها ومتطلباتها المعيشية والحياتية من مفروشات وفرش وأدوات المطبخ، والملبوسات وغيرها، وكانت تأخذ كل ذلك معها وتحمله فى السيارات الكبيرة التى تنتقل للطائف عبر الطريق القديم مروراً بالشرائع والزيمة والسيل الصغير والكبير واليمانية وصولاً إلى الطائف.

تداعت تلك الصور والمشاهد فى ذاكرتى ومخيلتى ومعها الكثير من الحكايات والذكريات، ففى أواخر الستينات وأوائل السبعينات الهجرية بعد الألف والثلاثمائة قصدت الأسرة مدينة الطائف، وكعادتها السنوية لقضاء أشهر الصيف والعودة بعد انقضاء الإجازة لكن الوالد رحمه الله صمم هذه المرة على البقاء بالطائف والاستقرار بها، وكان له ما أراد، واستقرت أسرنا الصغيرة المكونة من الوالد والوالدة وبنى بالطائف، وعاد عمى شقيق الوالد لملكة مع بقية أفراد الأسرة الكبيرة، واتفق الإخوان أن يتولى عمى الإشراف على تجارة الأسرة بمكة، وأن يقوم والدى من مقره الجديد بالطائف بمتابعة جميع الأعمال التجارية والاتصال بالشركات الأجنبية المتعامل معها.

واستأجر الوالد محلاً تجارياً «بخان الأوقاف» بوسط مدينة الطائف بعد أن أقنعه صديقه «محمد بصراوي» المسؤول عن إدارة الأوقاف بالطائف، ولاقت تلك الفكرة

قبولاً واستحساناً من الولد، خصوصاً وأن فكرة الاستقرار بالطائف لها هدف آخر وهو العمل بجدية لإكمال العمارة التي بدأها قبل سنوات في حى السلامة ولم نكتمل بعد، فاجتمع الهدفان واستقرت الأسرة الصغيرة بالمدينة الجميلة الهادئة. وكان الوالد مهيب الطلعة قوى البنية شديد المراس مع حدة فى الطباع تمازجها طيبة شديدة وقلب أبيض ويتغلف ذلك بمنفوان وشدة تبدو ظاهرة، وكان له ولع كبير بالقراءة والإطلاع المكثف، وقد ورثت عنه مكتبة كبيرة محتوية على كتب الأدب والتاريخ والشعر، وبالنسبة كان الوالد قارضا للشعر وله مجموعة شعرية كبيرة. بعضها نشر بالصحف المحلية وبعضها بحوزتى.

وكان الوالد حريصاً أن ينقل لى تجاربه وخبرته، وكان يفرس فى نفسى، بشتى الطرق والوسائل حب العمل والتفانى فيه وإجادته والجد والصبر على المكاره، وكان يوكل إلى أعمالاً وواجبات يفرضها على والقيام بها تفوق طاقة طفل لا يتعدى الثانية عشر، وكنت أرى أن هذه الواجبات المفروضة على والمطلوب منى القيام بها، مرهقة ولا تتناسب مع صغر سنى وحدثى، ولكن لا مفر من أدائها والقيام بها، فالاستيقاظ مبكراً والذهاب لإحضار متطلبات الإفطار بعد أداء صلاة الفجر، ثم شراء متطلبات واحتياجات طعام الغداء والعشاء من لحوم وخضار وغيره، ومن ثم التوجه للمدرسة سيراً على الأقدام من مقر السكن، فى حى السلامة إلى المدرسة والكائنه فى حى الشرقية، والعودة ظهراً مسافات طويلة أقطعها يوماً ذهاباً وإياباً، بالإضافة إلى مشاق أخرى.

وفى نفس الوقت الإشراف على المحل وعماله، والعمال كان يطلق عليهم لفظ «الصبيان» ومفردها صبي، أما لفظ عامل أو خادم فلم يكن متداولاً. خان الأوقاف كان يضم تجاراً من مكة ومحلاتهم تجاور محلنا، وأذكر منهم حسين بكبرى قزاز، وكان له محل صغير لأدوات التجميل والعطورات، عبد الرحمن أبو راشد، ومحمد على قربان والأحذية تجارنتهم بجميع أنواعها، هاشم ناقر و كان متخصصاً فى بيع الساعات خاصة ساعات جوفيال، محمد مرداد وتجارته متنوعة حسين قطب محمود صواف، عبد الرحيم صديقى، الثنطان، البوقرى غيرهم والمجموعة كانت متقاربة

ومتعاونة. وفى ما يتبقى لى من فراغ، وكان نادراً، كنت أقضيه فى الجلوس عند طرف دكان الشيخ محمد على قربان، وكان رجلاً طيباً ومحباً للجميع.

وذات يوم وكنت جالساً كعادتى فى مكانى الأثير أسمع وسأتمتع بما يقصه ويحكىه من خيالات جميلة مجنحه إذا به يتوقف عن السرد القصصى ويقول موجهها حديثه نحوى، «اسمع يا بنى سأحكى واقص عليك قصة حقيقة حدثت أيام العهد العثمانى، تلك الدولة أو الخلافة الإسلامية التى حكمت وسيطرت على معظم العالم العربى والإسلامى، وفتوحاتها امتدت إلى بلدان أوروبا، ومدن الحجاز كانت من ضمن المدن التى سيطرت عليها وامتد نفوذها إليها، وكان المتصرف التركى الذى يحكم الحجاز ويطلق عليه لقب القائم مقام ويدير أعماله من مقره فى مكة المكرمة. وقد بلغ أسماعه وصول باخره تجارية رست بميناء جدة، فما كان منه إلا أن أرسل أحد الضباط العاملين تحت إمرته «لجدة» ليستطلع له الأمر ويجلب له المعلومات عن الباخره الراسية، وكانت الرحلة من مكة إلى لجدة تستغرق أياماً، فوسيلة النقل المتاحة الدواب «الحيل والجمال والحمير»، المهم أن الضباط الموفد عاد من رحلته ليقول للمتصرف التركى رسالة موجزة كلماتها محدودة لا معنى لها: «نعم سيدى الباخره وصلت ميناء جدة وهى راسية الآن» ولم يزد، فما كان من المتصرف التركى إلا أن جمع جنوده واختار واحداً منهم توسم فيه النباهة والفظنة وأرسله فى المهمة الاستطلاعية، وعاد الجندى المكلف بعد عدة أيام ليخبر «المتصرف التركى» بمعلومات كاملة شاملة عن السفينة الراسية، اسمها، جنسيتها، اسم القبطان وعدد الملاحين ومقدار حمولتها، ونوعية الحمولة من البضائع والمواشى، وعدد الركاب وجنسياتهم ومتى رست السفينة بميناء جدة ومن أى ميناء قدمت وإلى أى ميناء ستبحر ومتى ستفادر ميناء جدة.. معلومات كاملة استمع إليها المتصرف التركى من موفده الجندى، فما كان منه إلا أن استدعى الضابط وجعله يستمع «للجندى» ثم قام «المتصرف» وانتزع النجمات التى تتحلى بها سترة الضباط ووضعها على هامة وسترة الجندى، وقال للضابط أنت لا تستحق هذه الرتبة والمرتبة الذى يستحقها حقاً وعن

جدارة هو هذا الجندي، وقد استمتعت بتلك القصة بداية ونهاية مبهوراً بمضمونها وحبكتها ومعانيها الجميلة ونهايتها الحلوة.

عادت ورجعت بي الذاكرة للخلف سنوات، وتذكرت تلك الحكاية بكل صورها ورموزها وشخصياتها بعد تعرض صديق لي لموقف ولقصة مماثلة حدثت له، وقلت لصديقي معقّباً ألا تذكر المثل الذي يقول «أرسل مرسول ولا ترسل فلوس» والمثل معناه ومضمونه أنه لقضاء حاجتك، واعمالك أرسل الإنسان الفطن النبيه حتى وإن لم تكن معه نقوداً فهو بذكائه ونباهته وفطنته سيتكفل بقضاء حاجتك والعكس وأضاف صديقي قالوا قديماً «الشاطرة تغزل برجل حمار» فالشاطرة تستخدم كل الوسائل المتاحة والطرق والسبل لتجويد الغزل حتى وإن لم يكن لديها مغزل.

## دنيا الناس

عشت مع نفسى وذاتى لحظات كنت أحاول فيها الإجابة على التساؤلات التى تلحّ على وتتراقص أمام ناظرى لتبرير وتفسير ابتعاد صديقى عن الناس ودنياهم وطبيعة عمله تفرض عليه إحاطة نفسه بالناس والأصدقاء والزملاء، ولكنه يكفى منهم باللقاءات العابرة وتلك التى تتم صدفة وعلى فترات متباعدة أو تحتها ظروف العمل واحتياجاته وعادة يفضل الاتصالات الهاتفية المختزلة والسريعة لانجاز المهم من أعماله دون الموجهة.

فهل هناك سر دفين فى كل هذا التحفظ والاحتياط والابتعاد عن الناس ورسم الحدود معهم. أم هى عدم ثقة بالآخرين؟

أم هى رغبة فى الانعزال والانطواء والانفراد بالذات ينجيها وتنجيه.. أم أن الابتعاد عن الناس ودنياهم هدفه البعد عن صخبهم وضجيجهم والحاحهم المنفر المرتبط بتحقيق أغراض ذاتية ومصالح شخصية وخاصة ذات مرة وجدت نفسى وبصورة غير شعورية مندفعاً لاقتحام خلوته ووحدته وفرضت نفسى عليه وفجرت تساؤلات الكثيرة أمامه وطلبت منه وبدون وجه حق تفسيراً لحالة الابتعاد والانطواء التى تلازمه؟ لكنه التزم الصمت الرهيب فهمت بالاستئذان منه ولكن صوته يأتى إلى مسامعى: لا تغادر.. سأحكى قصة حقيقية عشت أحداثها وملابساتها وظروفها لعلك تعرف منها لماذا ابتعد عن دنيا الناس وليس عن الناس، وكما تعلم أننى كنت أعمل فى أحد العواصم ممثلاً لبلدى وكنت حينئذ أشغل مركزاً مهماً له علاقة وثيقة بمتطلبات الناس واحتياجات دنياهم وكانت أعمالنا ووظائفنا مرتبطة بشخصية كبيرة تشغل وظيفة عامة، وكنت أرى جموع الناس بكل فئاتهم ومراكزهم تندافع وتتزاحم لزيارته فى داره الفسيحة ومع دورة الزمان، أحيل الرجل الكبير صاحب المقام والمنصب الرفيع العالى إلى التقاعد «المعاش» وبدأ الناس يتحولون عنه وتراجع أقدامهم عن داره الفسيحة وصالونه العاثر أقصد الذى كان عامراً ذات يوم، وزرته مرة بعد إحالته للمعاش بعد فترة وجيزة فوجدت الدار الفسيحة وصالونه العاثر يلفه

الصمت الرهيب ويغلفه الهدوء والسكون الذى يحيط بالمكان، وكان صديقنا وحيداً فريداً فى صالونه الواسع الأرجاء وليس معه غيرى وقال لى ودمعة حزينة تجمدت فى عينيه لقد ذهب الجميع مع ذهاب السلطة والسلطان والمكان الذى كان يعج بالناس أصبح خالياً وأصبحت وحيداً كما ترى حتى أجراس التليفونات خفتت وصمتت عن الرنين.

وبعد أن فرغ صديقى من رواية أحداث القصة التى مرت عليه، لزم الصمت كعادته فقلت له من أجل ذلك تبتعد عن الناس ودنياهم وبرنة حزينة قال ليس الأمر كما تتصور، أو تخيل أو تقدر ولكن أحاول وبقدر المستطاع الابتعاد حتى لا أصدم بحقيقة الناس التى اتصورها كجدار الوهم.

## رحلة البنتنر فى الحياة الدنيا

الشيخ على الطنطاوى رحمه الله كان داعية إسلامية من الطراز الأول، حديثه يخاطب العقول بموضوعية رقيقة أخاذة ويخالط القلوب والوجدان بعفوية وعذوبة تتداعى معها المعانى والمشاعر الوجدانية وصوته ينساب ردا على سائل حول رحلة البشر فى الحياة الدنيا من البداية إلى النهاية والذى لفت انتباهى تشبيهه لرحلة البشر بأنها مثل راكب الطائرة من محطة لأخرى، شركة الطيران تصرف له تذكرة مقابل قيمة مادية تخوله مقعدا يجلس عليه من مقاعد الطائرة لاستعماله خلال تلك الرحلة، فإذا قام احد الركاب المسافرين بتزيين وتجميل ذلك المقعد والصرف عليه لجعله أفضل وأجمل المقاعد فى الطائرة وهو الذى سيركه بعد حين ويعد فترة وجيزه لراكب آخر فإن كل ما صرفه وانفقه كان هباءً متثوراً مثله كمثل من ينفق ماله وجهده على دنياه وملذاته وشهوته وينسى أو يتناسى آخرته.

فى تلك اللحظات الوجدانية تذكرت قول الحق عز وجل مصورا لنا يوم أن نلقاه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام].

وفى سورة مريم يقول الحق عز وجل ﴿وَكَلَّمَهُمُ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ .

أنها نقلة كبيرة من موقف إلى آخر ومن مشهد إلى مشهد ومن حياة إلى حياة أخرى ويقول الأستاذ سيد قطب شارحا ومفسرا الآية الكريمة، ليس معكم إلا ذواتكم مجردة ومفردة كذلك تلقون ربكم أفرادا لاجتماع كما خلقكم أول مرة وتركتم كل شيء من مال وزينة وأولاد ومتاع وحياة وسلطان كله هناك متروك وراءكم ليس معكم شيء منه ولا تقدرين منه على قليل أو كثير. وغاب عنكم كل ما كنتم تدعون من شتى الدعاوى ومن هؤلاء الشركاء وما لهم من شفاععة عند الله أو تأثير فى عالم الأسباب. أنه المشهد الذى بهز القلب البشرى هزا عنيفا وهو بشخص ويتحرك،

ويلقي ظلاله على النفس ويسكب إيماءاته من القلب ظلاله المرعبه المكروية وإيماءاته المرهوبية ويكمل الأستاذ سيد قطب شرح وتفسير الآية الأخرى ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. فعين الله على كل فرد وكل فرد يقدم وحيداً لا يأنس بأحد ولا يعتز بأحد، حتى روح الجماعة ومشاعر الجماعة يجرد منها فإذا هو وحيد فريد أمام الديان.

لا أدري ماذا أعدنا لهذا الموقف العظيم والشهد المرعب الرهيب يوم نلقى الديان فرادى حيارى متجردين منفردين إلا من أعمالنا وما قدمت أيدينا فمن قدم خيراً يلقى خيراً ومن قدم غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.. فماذا نحن فاعلون؟! ويا أمان الخائفين.

## الإعلام العربي والانتفاضة

لقى الدكتور عبد القادر طاش في مقاله الرائع «الإعلام والانتفاضة» مجموعة من الأحزمة الضوئية على الإعلام العربي وفضح وكشف قصوره وتراخيه تجاه الانتفاضة التي تمثل روح الشعب الفلسطيني الذي يجابه وبأطفاله الأبرياء العزل من السلاح إلا من حجارة يقذفون بها أشع عدو عرفه التاريخ طفل صغير يحمل في قلبه إيمانه وعقيدته وفي يديه حجارته ومقلعه يواجه بها الدبابة وطلقات الرصاص الحي، وبعد مجيء «شارون» مجرم الحرب أصبح الطفل يواجه ترسانة الأسلحة الجهنمية التي تصب عليه وعلى شعبه الفلسطيني النار والحمام أرضا وبحرا وجوا بوحشية وشراسة، وكبار وجابرة العالم من حولنا لا يسمعون ولا يرون ولا يتكلمون وإذا تكلموا وعلى مضمض فإنهم يمكسون المواقف ويقلبون الأوضاع ويغيرون الحقائق فاللوم والإدانة من نصيب أطفال الانتفاضة أما أفاعي الإجرام وقتلة الأنبياء والشعوب فهم على الحجر، وقصة الذئب والحمل تتكرر يوميا والأصوات كل الأصوات تطالب الحمل بوقاحة متناهية بالخضوع.

يا إخوة الإسلام والعروبة تحركوا وحركوا الإعلام العربي ليتفاعل مع الانتفاضة ويفضح ما يحاك ويخطط لقهر الشعب الفلسطيني واجهاض الانتفاضة، فلنعمل سويا ونفعل إعلامنا ليكون في المقدمة بطرق ومسارات يحتملها علينا إسلامنا وعروبتنا وهي الحد الأدنى لما يجب فعله وعمله.

\* أن تخصص الصحف العربية والإسلامية صفحة يومية للانتفاضة لشرح أهدافها واستراتيجيتها وأساليب دعمها.

\* تحريك دوافع الخير والعزة في الإنسان المسلم والعربي وتحفيزه ودفعه لتبني أهداف الانتفاضة ولتصبح هدفه وغايته التي يؤمن بها بعد إيمانه بالله عز وجل ويسأله التأييد والنصر لعباده المجاهدين.

\* التذكير والتركييز على مذابح العدو الصهيوني البشعة التي ارتكبتها في دير ياسين وصبرا وشاتيلا والقدس والخليل وغيرها.

\* اعداد نصوص مكتوبة وبعناية فائقة باللغات الحية ليشارك ويسهم بها القارئ العربي والمسلم وبعيها عبر كل وسائل الاتصال لرؤساء دول العالم وللمنظمات الدولية والعالمية فاضحاً الأساليب الصهيونية وشارحاً وموضحاً المعاناة والاضرار الكثيرة التي طالت الشعب الفلسطيني من قهر وظلم وتشريد وتهجير.

\* استخدام الانترنت بدرجة أكبر في مطالبة المجتمعات العالمية بوقف نزيف الدم الفلسطيني وحمايته من الغطرسة والعدوان الصهيوني.

وهناك أمثلة متشابهة ومتقاربة في المضمون والمعنى تحمل كلمات بسيطة ومختصرة مثل «ادفع ريال نحسى طفلاً فلسطينياً» و«اقطع من مصروفك ريالاً واحداً تنقذ فلسطينياً» وغيرها من العبارات المؤثرة والمحركة للضمائر والوجدان المهم أن تفعل ونعمل ونقدم ولو أمراً بسيطاً وميسوراً بما يحتمه علينا الواجب والضمير والأخلاق والحق والعدل.